



CPAS

مركز الدراسات النحوية والمعمارية

”تطبيقات معاصرة للفن الاسلامى“

بقل
الدكتور / اسعد نديم

بسم الله الرحمن الرحيم

تطبيقات معاصرة للفن الإسلامي

- ١— أهمية احياء العمارة الاسلامية كاستجابة لمتطلبات العصر .
 - ٢— ترميم الاثار الاسلامية والفنون التي تدخل فيها .
 - ٣— السوق السياحي ودور الفنون التقليدية .
 - ٤— القواعد الجمالية لفن الاسلام (مثال : الخشب) .
 - ٥— دور الاكاديميين في احياء الفن الاسلامي .
- ١— ضرورة الاهتمام بالجانب التطبيقي (مثال : معهد المشربية لتنمية فن بلادنا)
 - ٢— مفهوم التقليدية في الفنون وعلاقتها بالاصالة والابداع والتجديد .

اثناء انتدابى للعمل مع جامعة الازهر كمستشار للدراسات الاجتماعية والشئون المتعلقة بالثقافة التقليدية ، فكر "المركز الدولى الاسلامى للدراسات والبعثات السكانية" فى اقامته مبنى جدى بمدينة نصر ليضم انشطة المقايدة . ولما كانت جامعة الازهر تقع فى قلب الحى القديم فى القاهرة وسط المبانى الاشورية المملوکية والعثمانية فاننى بدلا من تشجيع مبدأ تشييد مبنى جدى على الطراز الحديث ، عرضت فكرة ان نقوم بترميم احد القصور القديمة ليصبح متحفا ولنشر العمل جزء منه كمركز ثقافى يضم مكتبة عامة وقاعات للمؤتمرات والمحاضرات والندوات ويضم متحفا يحكي تاريخ الجامع الازهر ودوره . وكان هدفى ان نضرب عصافيرين بحجر واحد اقصد بانقاد اثر وتحويله الى متحف يفيد الاجيال ، ثم وضع الاشرافى خدمة استخدامات حديثة تستفيد من مزايا العمارة التقليدية بالقاهرة التى تميز بالفناء الداخلى والقاعات والنافورات والمشربيات الخ . . .

وقد تبنت ادارة المركز الدولى الاسلامى للدراسات والبعثات السكانية الفكرة وكلفتني بترميم قصرین متباينين — وقع عليهما الاختيار من قصور العصر العثمانى يقعان الى الجنوب مباشرة من الجامع الازهر هما الاثر رقم ٤٤٥ وهو منزل المست وسيلة (١٠٧٤هـ / ١٦٦٤م) والاقر رق ٤٤٦ وهو منزل عبد الرحمن الهاوى (١١٤٤هـ / ١٢٣١م) .

وقد صرحت هيئة الاثار للمركز بالقيام بالترميم . وببداية ، رفضت ما هو سائد من اسناد عمليات ترميم الاثار للمقاولين لاننى أردت الایجرى الترميم على اساس تجاري لعلمى ان النتائج ستكون في معظمها غير مرضية . ولكن اتأكد من ان الترميم سيتم على اسس فنية سليمة فقد قررت ان يكون العمل تحت اشرافى مباشرة وان تكون كل خطوة مدروسة بطريقة صحيحة . ورأيت ان احوال المشروع الى نموذج للترميم في المستقبل . اقصد الا تكون النتيجة النهائية هي مجرد ترميم اثرين — رغم اهمية هذا الهدف . فينبغي ان نتذكر ان القاهرة آلان ما يزيد عن خمسة اثرين يحتاج الى ترميم . والتفكير في مشكلة الترميم على هذا المستوى الواسع يجعلنا ندرك فورا الحاجة الى خلق جيش من الفنانين والفنين والمتخصصين من اصول الترميم ، كما يجعلنا نحس بخطورة عدم وجود كتاب يوضح ويفسر عمليات ترميم الاثار الاسلامية . ولذلك فقد فكرت منذ البداية ان

في ان تكون احدى شمار ترميم مشروع ترميم القصرين المذكورين سد هذا الفراغ في المكتبة العربية
اقصد وضع كتاب تفصيلي يشرح العمليات التي سيمر بها مشروع ترميم القصرين يلخص الخبرة
المستمدة من العمل ويضعها في خدمة عمليات الترميم في المستقبل بان يجرب بقدر الامكان على
جميع اسئلة المتعلقة بمشكلات الترميم . وهكذا صممت منذ البداية على تحويل المشروع الى
عمل على المستوى الاكاديمي .

وكانت المرحلة الاولى هي توثيق الاثاريين على للتتعرف على ما هو قائم ولتحديد مايلزم ان
نقوم به ويشمل التوثيق مراجعة على الطبيعة لجميع الرسومات الخاصة بالقصرين للحصول على
رسومات دقيقة للمساقط والواجهات ، والرسوم التفصيلية للحليات والزخارف الموجودة في الحجر
والاخشاب والمشرييات ، ومقارنة كل ذلك بالوثائق الاصلية للملكية التي تصف كلها من القصرين ،
والتحول الى تصور الحالة الاصلية للاثارين وما قد يكون اضيف او ازيل في وقت لاحق . ولا يقتصر
التوثيق على الرسومات بل يستعين بالصور الفتوغرافية والسلайдز والوصف المكتوب على بطاقة .
واحد اهداف عمليات التوثيق هو خلق مستند يمكن ان يرجع اليه المترمم اثناء عمله عندما يتضمن
الحال مخالفات واعادة بناء جزء من بمنى او حائط او مشربية او باب بسبب خطورة تركتها على
حالها .

ومع بدأة العمل في توثيق الذى تشرف عليه المهندسة / منى زكريا من "المعهد الفرنسي
للاتار المصرية" بدأت اتصالات بالفنانين والحرفين التقليديين في عددي من الفنون والحرف بهدف
الاعداد لتكون الفريق الذى سينجز الترميم بعد انتهاء التوثيق . واذا تأملنا المبانى الاثرية
سندرك تعدد الاختصاصات التي يحتاجها الترميم .

فلا بد ان نضم الفريق - على سبيل المثال لا الحصر - المتخصصين في نحت الحجر والحرف
في الحجر والبناء بالحجر والطوب ، وتشييد القبور ، والنجارة العربية بفرعها كالاسقف
والابواب والمشرييات والدوابيب المثبتة بالحوائط مما يستدعي عمليات النجارة والخراطة والآواني
والتطعيم ، ثم الاسترجى ، والفرخام للارضيات والنافورات والحمامات الخ .
هذه مجرد امثلة للدلالة على ضخامة الفريق الذى سيحتاجة الترميم .

وقد اثبتت المحاولات العديدة التي قمت بها لتشكيل فريق الترميم سيطرة السوق السياحي على مجال الفنون والحرف التقليدية .

فالروائع التي تزخر بها القاهرة انتجهما على مر القرون اجيال متعاقبة من الفنانين التقليديين الموقوفين . وافراد الجيل الاخير منهم اما ماتوا او جذبهم الاجور المرتفعة العجلة العربية فالى خارج مصر ، واصبحنا في مصر نكاد لانعثر على الفنان التقليدي الموهوب المدرب الذي نطمئن الى مستوى . ولعل من اهم اسباب هذا الواقع هو اننا منذ عدة عقود بدأنا نفتش في التحديث والأخذ بالانماط والنماذج الاوروبية في البناء والاثاث واصبحت الانماط المستوردة آلان هي السائدة ، وحل محل الاصل القديم .

وكانت النتيجة هي تراجع الفنون والحرف التقليدية عن خدمة السوق المحلي التي كانت اساساً لها تلك الفنون والحرف السوق المحلي والمستهلك الوطني وان يشتري السائح بعض منتجاتها كذكر لزيارته بوصفها ما يستعمله اهل البلد الذي يزوره . لكم الوضع القائم اليوم هو ان الفنون والحرف التقليدية قد فقدت سوقها الاصلي واصبحت تقتصر على خدمة السائح الاجنبي . وهي عند ما فقدت المستهلك المحلي فانها في الحقيقة فقدت الشخص الاصيل الذي يمكنه ان يميز الردىء من الجيد والفت من الثمين . واستمر السائح الاجنبي يشتري ما يقدم اليه كذكر سياحي حتى لو لم يكن على المستوى اللائق لانه غالباً غير خبير باصولها الحرفية او بقواعدها الجمالية . لقد ترتب على انحسار السوق المحلي والاقتصار على خدمة السائح الاجنبي الاغراء بعدم الاتقان والتهاون ، وذلك نتيجة لانقلاب الوضاع فقد اصبح سوق الفنون والحرف التقليدية يخدم السائح اساساً .

ومع مرور الوقت والسنين انحدر مستوى الانتاج وعيت المنتجون بالقيم الجمالية التي استغلوا مظاهرها دون ادنى اهتمام بجوهرها الحقيق الاصيل .

وحتى يتضح ما اعنيه بالقواعد الجمالية الاساسية للفن الاسلامي ، ساعطي مثلاً للقيم الجمالية التي اكتشفتها خلال بحوثي وسط المشتغلين بالتجارة العربية التقليدية بفروعها العديدة .

فهذة القيم الجمالية تتركز في اربع قواعد هي :

اولا - التباهيل :

ونصل اليه اذا كانت وحدة الرسم مما يمكن تقسيمة الى اربعة اقسام متماثلة . وهذا التقسيم يؤكد العلاقة بين وحدات الرسم المتجاورة ويعطى امكانية التماست اللانهائي عند التكرار فلابد ان نجد مربع وحدة في كل ركن خارجي من اجمالي الرسم وانصاف وحدات على جوانبه .

ثانيا - الموتيفات :

ينبغي ان يتكون الرسم من اشكال معروفة في عالم الموتيفات الاسلامية . وتناك حرية كاملة لاصافة او حذف اى خطوط طالما لا يتسبب ذلك في خلق اشكال قبيحة . والشكل المقبح هو ما يخرج على الريبرتوار المعروف .

ثالثا علاقة الشيء بما يحيط به :

فينبغي النظر الى الرسم في علاقته بما حوله . فالمساحة الكبيرة قد تحتاج الى كثرة عدد الوحدات ، بينما الرسم ذي التفاصيل الكثيرة يستلزم مساحة اكبر للوحدة . والمهم هو تقدير العين الخبرية .

رابعا - المتنانة :

رغم ان الوحدات تعتمد على حشوات وجزئيات صغيرة الا ان المتنانه عنصر اأساسي . فالقطع التي لا تعمري ليست جميلة .

وقد قمت بمحاولات عديدة مع بعض الورش التي تتولى الانتاج السياحي لتجربة رفع مستوى الانتاج الى الحد الذي يحقق الامانة الى القيام بترميم الاثار . وقد كانت هذه المحاولات في شكل قطع طلبت انتاجها على نفقتى واشترطت ارتفاع مستوىها . وقد كنت اتابع الانتاج شبة يومية واقاوم بتقديم المشورة ويعمل الرسومات في بعض الاحيان يبل وعرضت بنفسي رفع السعر في

مقابل الدقة وتحسين المستوى الخ . لكن للاسف . فقد باءت كل هذه المحاولات والتجارب بالفشل نظرا لاحكام قبضة السوق السياحي على مجال نشاط الفنانين والحرفيين والتقليديين ، وسيطرة الجانب التجارى على مقدرات الفنان التقليدى . وهكذا ، تكشفت نهائيا حقيقة ان السوق القائم لن يسعفني في عمليات الترميم ، وان الترميم لن يتم بالمستوى اللائق الا اذا اخذته في يدي ، فلابد ان يتم النشاط الاكاديمى الى جانب التطبيق ليرشده ويأخذ بيده ليعود مرة اخرى الى المستوى المزدهر الذى وصل الى القيمة فى مصر فى العصر المملوكي بل والذى كان سائدا الى ما يقرب من نصف قرن مضى .

من هنارأيت ضرورة انشاء معهد للفنون التقليدية تكون مهمته خلق جيل جديد يحمل المؤثر ويضيف الى الامجاد السابقة صفحات جديدة . فاذا كنت قد اهتممت بالعمل في ترميم قصرين ، فان فى القاهرة على اقل خمسماة اثر تحتاج الى الترميم على الفور والا فقدنا الكثير منها فى بعض سنوات قليلة . فمن الذى سيتولى هذه المهمة اذا كان الانتاج التقليدى بل المستوى السياحى الذى شرحته ؟ وقد عرضت مشروع المعهد على هيئات كثيرة للتمويل ولكن دون جدوى . الى ان قررت ان اتكلف بالمشروع فى حدود امكانياتي الخاصة . واتصلت بمجموعة من الفنانين التقليديين والشبان الذى سبقوا ان تدربيوا فى بيت السنارى ووكالة الغورى ويعملون فى السوق السياحى . وعرضت عليهم مشروع الترميم واعتززى بانشاء معهد تدريبى للفنون والحرف التقليدية يملكون هم فيه باجر تزيد كثيرا عما يمكن ان يتقادمه فى السوق السياحى واتكل على اتقديم التموين اللازم والارشاد الفنى اثناء العمل بشرط واحد هو ان يكون اهم هدف للمعهد هو الاجادة ورفع مستوى الانتاج باستمرار . وقد رحبوا بالفكرة بحماس زائد ، ونشأ (معهد المشربية لتنمية فن بلادنا) ، وشعاره (الجودة قبل الكمية) . فالهدف هو احياء الفنون التقليدية وعيشها وليس مجرد الانتاج للسوق السياحى يبتعد فيه المشترى عن القواعد الاصيلة للفنون التقليدية . واصبح (معهد المشربية) يضم نخبة من العاملين فى مختلف فروع التجارة العربية . فيوجد نجاراً الاثاث الدقيق والخراط والآدمي والصدفي يعملون ويتدربون فى وقت واحد ، وتحتايدهم اجدد الخامات والآلات والادوات .

ولا يجرى التدريب على نماذج صغيرة ، بل على قطع حقيقة يكلف المعهد بانتاجها ،

ويتكلّف الفنانون التقليديون على انجازها في تكامل بين تخصصاتهم المختلفة وفي مقابل الأجر المرتفعة كان كل المطلوب هو التحسين والتدقيق واجادة المستوى . وقد أصبح مستوى الانتاج الان مرتفعا بصورة ملحوظة وتعود العاملون على ضرورة التقيد بالقيم الجمالية الأصيلة واهمية اختيار الخامات الجيدة والاصرار على الجودة في كل مرحلة وفي كل شيء ، ونما الإحساس لديهم بالافتخار بامتياز الانتاج .

وقد أصبح في المعهد الان مجموعه يمكن فعلان تبدأ في عمليات الترميم بمستوى يطمئن . قد كانت الأمثلة التي قدمتها عن الخشب والنحارة ، لكن يمكن تطبيق نفس الشيء على الخامات الأخرى كالحجر والرخام والنحاس وكل ما يدخل في احياء العمارة الإسلامية .

ونحن عندما نتكلم عن التقيد بالقديم فليس المقصود هو الجمود ، بل البحث عن الاصلة وهذه الفنون والحرف التقليدية قد مرت بمراحل تطور عديدة قام بها الفنان التقليدي على مر العصور . ونحن ورثة هذه المأثورات ومن حقنا ان نواصل التجديد . وكل التجديد مقبول طالما لا يدمر القوانين الأساسية الاربعة التي تحكم القيم الجمالية للفن الإسلامي .

ولنا عليه فانا ارجب باستخدام الالة طالما انها لا تضرir الرسم او جودة المنتج ، كذلك الخامات البديلة كالطبخ بدلا عن العاج والمقاسات الحديثة للاساس يمكن الاستعانة بها فالاسس الفنية نرعاها كحبات عيوننا ، والتجديف يكون فيما عدا ذلك ، والمجال مفتوح امام تطبيقات معاصرة للفن الإسلامي .

والله ولئن توفيق

بقلم

الدكتور / اسعد نديم